العرب
الخميس 2020/03/12
السنة 42 العدد 11644

معرض الكاريكاتير السوري يكرم الشاعر محمد الماغوط

يشارك في المعرض خمسمئة فنان عالمي قدموا لوحات ساخرة ومتمردة

ولد الكاريكاتير كفن البسطاء، ووجد فيه كل من المبدعين والمتلقين وسيلة هامة للتواصل في ما بينهم، فوجد فيه الرسامون منبرا لتقديم أفكار إنسانية عميقة بأسلوب بعيد عن التكلف وقواعد الرسم الكلاسيكي التقليدي بمدارسه المعروفة. والانعطافة الكبرى في تاريخ هذا الفن هي التحامه بكل ما هو ثقافي بروح متمردة.

محمد الماغوط الشاعر المتمرد

نضال قوشحة
كاتب سوري

بعد ذيوعه وجد فن الكاريكاتير طريقه للصحافة الساخرة فتصدى للتيارات السياسية المختلفة في أوروبا وأميركا، وسخر من حكومات وقادة سياسيين وزعماء وتخصصت به صفحات ومجلات.

ومع الاحتكاك الحضاري بين أوروبا والعالم العربي وصل فن الكاريكاتير إلى سوريا في بدايات القرن الماضي مع وجود العديد من المجلات التي اعتمدت عليه في تكريس أفكار صحافية، فكان يقدم فيها على التوازي مع مقالات صحافية، فظهر في مجلات منها: حط بالخرج والراوي واسمع وسطح وجحا، وهي مجلات صدرت بين عامي 1909 و1910. وكثيرا ما عانت هذه المجلات من عقبات المنع من النشر أو الإغلاق نتيجة العراقيل الكثيرة التي كانت تفرضها السلطات العثمانية المحتلة في حينه.

مع مرور الوقت صارت لفن الكاريكاتير في سوريا مكانة أهم مع وجود الحكم الوطني بعد الاستقلال عام 1946. فحظي حينها فن الكاريكاتير بالكثير من الاهتمام الرسمي والشعبي وصدرت العديد من المجلات والصحف المختصة به، منها: السهم والخازوق والعفريت والكرباج. وكذلك المجلة الأهم "المضحك المبكي" التي كانت لها شهرة كبيرة.

وبعد ذلك بسنوات دخل فن الكاريكاتير في حالة من الركود وفقد مكانته في شكل الصدور بمجلات مختصة نتيجة ظروف وتبدلات سياسية جوهرية حدثت في عموم سوريا. وصمدت محاولات فردية محدودة للعديد من الفنانين الذين كانوا ينشرون رسوماتهم في الصحف اليومية السورية فظهر فنانون متميزون أمثال علي فرزات وعبدالهادي الشماع وعبدالله بصمه جي وخالد جلل ورائد خليل، وغابت تماما المجلات الساخرة في سوريا حتى جاء أول عام 2011 حيث أسس بدمشق الفنان علي فرزات جريدة "الدومري"، التي شكلت حالة صحافية هامة في تاريخ سوريا الصحافي واستمرت بالصدور لمدة تقارب الثلاث سنوات ثم ما لبثت أن اصطدمت بالأجهزة الوصائية الرسمية الأمر الذي أدى إلى إغلاقها.

وفي ملمح جديد وعصري يدخل فن الكاريكاتير في سوريا عام 2005 مرحلة جديدة، عندما أوجد الفنان رائد خليل تجربة إقامة المعرض الدولي السوري لفن الكاريكاتير في دورته الأولى، والذي كان من أهدافه التوجه نحو آفاق عالمية في فن الكاريكاتير، وهو المعرض الذي يتسم بوجود مسابقة دولية تضم العشرات من الجنسيات وعددا كبيرا من الفنانين بلغ في هذه الدورة الخمسمئة وصار المعرض والمسابقة التي يتضمنها إحدى الفعاليات الدولية الهامة على مستوى العالم.

أخيرا انطلقت الدورة السادسة عشرة من المعرض الدولي السوري لفن الكاريكاتير في الثامن من شهر مارس الجاري في دار الأوبرا بدمشق، بمشاركة فنانين من واحد وسبعين جنسية قدموا مئة لوحة بالتعاون مع أكثر من خمسمئة فنان.

أهديت هذه الدورة إلى الكاتب والشاعر السوري الشهير محمد الماغوط الذي عرف بتقديم الأدب الساخر المعروف بنقده السياسي والاجتماعي بأسلوب لاذع في نصوصه، حيث كتب مسرحيات كوميدية قدمها الفنان دريد لحام، مثل مسرحية "ضيعة تشرين أولا" وبعد أعوام المسرحية الشهيرة "غربة" ثم "كاسك يا وطن"، وفي ما بينها مسلسلات تلفزيونية منها "وادي المسك" و"وين الغلط"، كما قدم الماغوط مسرحية "خارج السرب" التي كانت من إخراج وبطولة الفنان جهاد سعد.

وقدمت في المعرض مئة لوحة فنية كان معظمها باللونين الأسود والأبيض والبعض الآخر ملونا، ظهرت فيها مجموعة بورتريهات للكاتب الكبير محمد الماغوط الذي رسمه الفنانون بأشكال مختلفة تراوحت بين استخدام اللونين الأسود والأبيض حينا والألوان حينا آخر، التي وصل البعض منها لمقاربة شكل الملصق الإعلاني، كما ظهرت في المعرض بشكل واضح لوحات تبين حالة القناع الذي يخفي بعض الناس وراءه عواطفهم الحقيقية ومشاعرهم التي يخفونها عن المحيط، وهي الثيمة التي اعتمدها المعرض موضوعا له في دورته الأحدث، فظهرت لوحات حاكت الفكرة وقدمتها بأشكال اجتماعية وسياسية محلية ودولية، فحضرت شخصيات عالمية منها هتلر وترامب والمستر بن. وكما العادة كان تفاعل جمهور فن الكاريكاتير مع المعرض واضحا، وباتت علاقتهما مؤكدة بحدث سنوي تنتظره شريحة واسعة من المهتمين بهذا الفن.

> هذه الدورة أهديت إلى الكاتب والشاعر السوري محمد الماغوط الذي عرف بنقده السياسي والاجتماعي اللاذع

وعن الدورة الأحدث للمعرض والمسابقة يقول رائد خليل لـ"العرب" "منذ البداية كان توجه المعرض أن ينفتح على آفاق دولية وأن يتفاعل معه فنانون يمثلون أوسع طيف من الفنانين العالميين، وبعد جهد ووقت استمرا لسنوات طوال تحقق هذا الطموح وصار رصيد المشاركين في المعرض ما يقارب الخمسمئة فنان من واحد وسبعين جنسية. يمثلون مدارس فنية مختلفة. كما أن المسابقة صارت إحدى الفعاليات العالمية الهامة في موضوع معارض الكاريكاتير".

وعن إهداء الدورة لشخصية الكاتب محمد الماغوط يبيّن خليل "منذ فترة ونحن نسعى في المعرض لأن نكرم في كل دورة شخصية ساهمت في رفد الحياة الثقافية السورية والعربية بالجديد والمتميز، ولا شك أن شخصية محمد الماغوط ستكون صاحبة مكانة هامة، فهو شاعر ومسرحي ومفكر كبير، له إسهامات كبيرة في مجالات أدبية عديدة، شكل صوتا شعريا خاصا به ومسرحه الكوميدي الساخر لا مثيل له وهو معروف على مستوى العالم العربي كله، في تسمية الدورة باسم الماغوط رد جميل ولو بسيط تجاه هذه القامة الأدبية الشامخة".

الفنانة التشكيلية التونسية ليلى الركباني: الفن متحرر من كل القيود

حجاج سلامة

الأقصر(مصر) – تقول الفنانة التشكيلية التونسية ليلى الركباني إن الثورات العربية أنتجت حركة تشكيلية شبابية متحررة وألغت القواعد الكلاسيكية للفن.

وتشير الركباني، التي كان لنا معها هذا اللقاء على هامش مشاركتها كضيفة شرف بمعرض فني تستضيفه حاليا كلية الفنون الجميلة بجامعة الأقصر في صعيد مصر، إلى أن العالم العربي يشهد حاليا "نوعا من الغليان والحراك المثمر الناتج عن الثورات العربية المتتالية والمؤثرة بالضرورة على المشهد الفني".

وترى الفنانة أن هذا "الغليان بديهي، بما أن الفنان إنسان دقيق ومرهف الحس بطبيعته، فالانتقالات التي يشهدها الوضع الراهن عموما، والتي يعيشها المبدع بطريقة مباشرة في محيطه، تنعكس أساسا في عمله وإنتاجاته الفنية".

وتقول إن "الحركة التشكيلية العربية تشهد تطورا كبيرا في الإبداع ونقلة نوعية متميزة بهيمنة الإنتاج الشبابي المشحون بظواهر التحرر والخروج عن المعتاد، بجانب ولادة عدة طرق تعبير بعيدة كل البعد عن المألوف في الفنون المرئية وتجارب تشكيلية مختلفة كل الاختلاف عن الأخرى، لاغية لكل قواعد التمثيلية الفنية الكلاسيكية الثابتة".

وحول رؤيتها للهدف من ممارسة الفنون، تقول الركباني إن الهدف من الفن بصفة خاصة، والهدف من الحياة بوجه عام، يكمن أساسا في إمكانية زيادة مقدار الحرية والمسؤولية التي هي في كل إنسان وفي العالم، وإن هذا التحليل استنتجته من دراساتها لأفكار الفيلسوف الفرنسي ألبير كامو في أبحاثه المبينة لأهمية الفن في تحقيق الكيان الفردي للإنسان، مهما كان شخصه أو جنسه أو انتماؤه أو درجة اتصاله بالمكان المتواجد فيه.

> الفنانة تتناول في أعمالها وضع الحياة في محيطها وحالة الطبيعة المؤلمة كما تطرح قضايا سياسية واجتماعية

وتلفت إلى أنه لكونها فنانة تشكيلية مرتحلة، باحثة وناشطة في مجال الفنون المرئية المعاصرة، رافعة لراية الفن أينما رحلت، فإن هذا دليل على قدرة الفن ككيان مستقل غير خاضع لقوانين التفرقة الجنسية أو الدينية على اجتياز الحدود "الجغراسياسية" والفكرية والصمود أمام كل الضغوط الرجعية المتناقضة مع معطيات عصر العولمة الراهن.

وحول مدى إيمانها بوجود فن تشكيلي نسوي أو فن تشكيلي ذكوري، تقول الفنانة التونسية ليلى الركباني إن الإبداع والابتكار ناتجان من فكر وحس، لا من جسد فما الجسد إلا وسيلة مادية خارجية لترجمة أعماق هوية، في إشارة إلى عدم اقتناعها بوجود فن نسوي أو ذكوري، واقتناعها بأن الفن لايعرف الجنس، وأنه سواء كان من عمل امرأة أو رجل، لا فرق في ذلك فالفن هو الفن دون تفرقة.

وتضيف أن الإنسانية فن وأن الفن لا لغة أو دين أو جنس محدد له، فلا فرق ولا تفرقة، ووجهت تحية تقدير واحترام للمرأة أينما كانت، وللإنسان عموما مهما كان الجنس أو الأصل أو الانتماء أو المعتقد.

وتوضح الركباني أن كلا من المرأة والرجل مكمل للآخر، وهذا هو قانون الطبيعة وقاعدة من أسس الواقع وشروط الكون، فلم تغفل المرأة عبر كل الحضارات والعصور عن إثبات أهميتها وإعلاء قيمتها بإنجازاتها وأثر وقعها، لافتة إلى أن انخراط المرأة في كل مجالات العمل والفنون، يدل على إتقانها لكل ما تمارسه وتقوم به، وأن المرأة إن كانت قائدة أو حاكمة أو ملكة قديما، فهي كذلك أم وزوجة ومربية وكادحة وعاملة وعالمة وباحثة وفنانة ومفكرة وفيلسوفة ومحبة وملهمة ومبدعة.

وتقول إنها باعتبارها فنانة تشكيلية، فقد "شرعت في البحث عن إجابات تتعلق بإشكاليات علاقة الهوية بالمحيط، وأثر الذاكرة على الشخصية، وارتباط الهوية بالانتماء الزماني والمكاني".

وتضيف أنه ومن خلال تجربتها في التعليم والتنقل في إطار مشروعها البحثي للحصول على درجة الدكتوراه، وهي التجربة التي وصفتها بالثرية والنافعة، وجدت أن "المتلقي شاهد عاكس لصورة الوضع وبالتالي مبسط لفهم الهوية الفنية". كما ترى الركباني أن هناك أهمية كبيرة لمشاركتها بالمعارض التشكيلية الدولية والمشاركات الفنية في شتى أنحاء العالم، والتي تنعكس على الأعمال الفنية وتتجسد في شكل تجارب فنية فريدة ومتفردة. مشيرة إلى أن تلك المعارض هي بمثابة "مغامرة ورحلة

الفن يتألق في اجواء الحرية المسؤولة

إبداع تتجلى فيها حوارات مختلفة بين الأبعاد والخامات، ونقاشات حادة مرات وناعمة مرات أخرى، بين الأحجام والألوان، محاكية لوضع نفسي أو معبرة عن غاية معينة، باعثة في كل الحالات لرسالة ملْتزمة في حلة رموز مرئية معالجة لأفكار وليدة لحظة الخلق تارة ومعبرة عن قضايا تبنتها شخصيتها عبر السنين والتجارب تارة أخرى".

وحول مفردات وموضوعات منحوتاتها وأعمالها الفنية، تقول الركباني إنها تتناول في أعمالها وضع الحياة في محيطها وحالة الطبيعة المؤلمة وهو الألم الناتج عن كوارث التلوث لمجتمع استهلاكي لا مبال، كما تتناول وضع المجتمع وطبقاته والحالات النفسية التي تأتي كنتاج لتأثير نظام العولمة وتتناول في أعمالها أيضا، قضية التحرر والحرية وعلاقة الموازاة والتكامل في استقلالية المرأة عن الرجل، إضافة إلى ذلك تتناول تجربتها كامرأة عربية مستقلة حالمة، رافضة لكل الانتماءات، ممارسة لفنها بكل حيادية وعزيمة لتمثيل هويتها.

ويذكر أن الفنانة التشكيلية التونسية ليلى الركباني درست النحت والفنون بالمعهد العالي للفنون الجميلة في تونس، وبدأت مسيرتها الفنية والمشاركة في المعارض والملتقيات الفنية منذ 15 عاما، وشاركت خلال تلك المسيرة في الكثير من المعارض والملتقيات كمنظمة ومشاركة في كل من موطنها تونس بجانب فرنسا والمغرب والجزائر ومصر ولبنان.